التنوع االتقني في التصميم الجرافيكي

بشـــار ماردينى *

إن الجمال الطبيعي هو ما تراه العين وتدركه ويترك أثراً حسناً في نفس الإنسان، والفن وسيلة مهمة لتعبير الفنان عما رآه من جمال وعما يريد أن ينقله من فكرة إلى الطرف الآخر .

وبوصف التصميم أحد أنواع الفنون التطبيقية فهو ذو غرض ووظيفة، ولتحقيق ذلك لابد من توفر شرط الجمال فيما يتم تصميمه وذلك بوصفه أداة اتصال بين الناس، ولابد من الموازنة بين القيمة الجمالية والوظيفة للأشكال المستحدثة أو المستلهمة من البيئة الواقعية مضافاً إليها إحساس المصمم وذوقه الجميل ومهارته وتقنيته لأن انفعالات وأحاسيس الفنان ستنتقل إلى المتلقي وبهذه الحالة يكون التبادل بين ما هو ذاتي خاص وجمالي عام لمختلف المستويات الثقافية والاتجاهات النفسية وذلك ما يطلق عليه المشاركة الوجدانية الفعالة بين الناس عن طريق التذوق الفني .

إن المصمم الجرافيكي حينما يشرع في وضع فكرته الأولى لابد أن يسبق ذلك بدراسة وافية وشاملة ليتمكن من تحقيق أهدافه (الغرض تصميم أي شيء بشكل صحيح إذ يجب على المرء قبل كل شيء أن يدرس طبيعته وهذا ما أكد عليه كروبيوس مؤسس مدرسة الباوهاوس 1919) ثم بعد ذلك تتم دراسة عملية المناقلة الشكلية بين الصور الذهنية المخزونة في ذاكرة المصمم ليخضعها إلى متغيرات ومستحدثات تتوافق مع ما يريد أن يطرحه ومع ما يتناسب والموضوع الذي هو بصدد التعامل معه والتعبير عنه، ومن خلال التقنيات التصميمية المتنوعة ووفق أسس التصميم وعناصره وعلاقاته يستطيع أن يهيء للمتلقي عملية استقبال العمل الفني وتذوقه فنياً موهماً إياه بأحاسيس متنوعة، فكيف يكون الأمر عندما يكون المصمم متفهماً ومدركاً لضرورة التعبير عن موضوعه بأسلوب جمالي وتقني ذي وظيفة وهدف .

تكمن أهمية الموضوع في إمكانية المصمم التعامل مع تقنيات متعددة وقدرته على إظهارها مكملة للتعبير عن الفكرة التي هو بصددها .

ومن البديهي القول إن العملية التصميمية ترتبط بمهارة المصمم الجرافيكي، فكيف يكون الأمر لو أن هذا المصمم كان ملماً وعارفاً ومتمكناً من تنفيذ أي تصميم يطلب منه ؟ مع الإشارة الى الكم الهائل لعدد المصممي في سوق العمل ، وبمستويات مختلفة في الأداء والإمكانيات .

وما أريد قوله في هذا الموضوع هو بيان الثراء في الكم والنوع للتقنيات المتنوعة التي يستطيع المصمم الجرافيكي أن يستفيد من استخدامها في أعماله لتزيد من قوة التعبير ومتانة التصميم ولتكون عاملاً من العوامل ذات الأثر في التميز.

وقد خصصت موضوع التنوع، لما استشعرت من خلال

* جامعة فيلادلفيا – الأردن

تجاربي وتعاملي الطويل مع كل هذه التقنيات لأهميتها الكبيرة خاصة وأن المصمم المحترف يستطيع أن يحصل من صورة واحدة على عديد من الصور وكل منها بتقنية مختلفة، وقد تكون بالتقنية ذاتها إلا أنها بمعالجات مختلفة . ناهيك عن اختلاف اللون، ومعالجاته وتقنية تنفيذه والتنوع الشكلي بعلاقاته المختلفة، فضلاً عن المادة النصية وارتباطاتها بالموضوع وجماليات استخدامها وتشكيلها ومكانها في المساحة المشغولة .

ومع ذلك لا بد من الإشارة إلى وجود طرق هائلة للتنفيذ يستطيع أي مصمم الإنتقاء منها، مما يراه مناسباً لفكرته وما يخدم عمله الفني أي أن التقنية ترتبط بالفكرة فإما أن تميتها أو تحييها.

ومن المهم حسن انتقاء التقنية الملائمة للتصميم لتكون مؤدية لغرضها، ولا شك في أن التنوع التقني يعتبر أحد العوامل المساندة للعملية التصميمية من حيث الإخراج النهائي وأسلوب التقديم والعرض والأثر الفاعل في عملية الشد البصري ومتانة الموضوع ودلالاته التعبيرية فضلاً عن الناحية الجمالية.

من خلال ذلك لابد من القول أن التأكيد على ضرورة التنوع لدى المصمم في استخدام التقنية من العوامل ذات الأثر الفاعل الذي لا بد للمصمم الأخذ به وتطبيقه بكفاءة عالية في مساحاته المشغولة ليستطيع أن يزيد من الطاقة التصميمية قوة ودلالة وتعبير .

ومن خلال الدراسات والتجارب التي قمت بعملها على مدار سنوات تبين أن كثيرا من التقنيات الفوتوجرافية التي يمكن التوصل من خلالها إلى نتائج مذهلة في فن الفوتوجراف يمكن الآن إنجازها باستخدام برنامج معالجة الصور بالحاسوب ألا وهو الفوتوشوب . حيث يتسنى للباحث أو لأي شخص يجيد استخدامه أن يحصل على العديد من التنوع التقني لمعالجة الصور وبشكل سريع ومختصر عن تقنية الفوتوجراف .

إلا أن ما تجب الإشارة إليه هو الخصوصية بين الناتج لكلا التقنيتين حيث يبقى فن الفوتوجراف فناً قائماً بحد ذاته له استقلاليته وتميزه وكذا الأمر بالنسبة لبرنامج الأدوبي فوتوشوب الذي جاء مضيفاً ومسانداً بأدواته وإمكاناته ليقدم صوراً فريدة ومعالجات هائلة تغذي العمل التصميمي وتغنيه.

وبالطبع لابد هنا من اللجوء لاستخدام الصورة التي سيتم معالجتها وهي بهذه الحالة يمكن أن تكون إما فوتوجرافية أو رقمية (دجيتال).

إن الصورة تعتبر احدى أهم ركائز التصميم الجرافيكي خاصة أنها عنصر تيبوجرافي في التصميم وبالذات

تأثير النحت البارز عن طريق الفوتوشوب (من أعمالي)

تأثير النحت البارز عن طريق تقنية الغرفة المظلمة (فوتوجراف) (من أعمالي)

الكتب والصحف والمجلات . فكيف يكون الأمر لو تم استخدام تلك الصورة بتقنية تصميمية سواءً أكان ذلك داخل الغرفة المظلمة أو باستخدام جهاز الكمبيوتر عن طريق الأدوبي فوتوشوب وعندما يتم التطرق بالحديث الى الغرفة المظلمة فإن امكانياتها واسعة جداً وتقنياتها من أجمل التقنيات التي يحس الشخص بمتعة مرئية بعد حصوله على النتيجة النهائية للعمل ومن هذه التقنيات : (التشمس – الفوتوجرام – فصل الدرجات الضوئية – الصورة الخطية – النحت البارز – خداع المنظور – الرسم بالضوء – الرسم بالمحاليل الفوتوجرافية .....)

الرسم بالمحاليل (من أعمالي)

التشمس

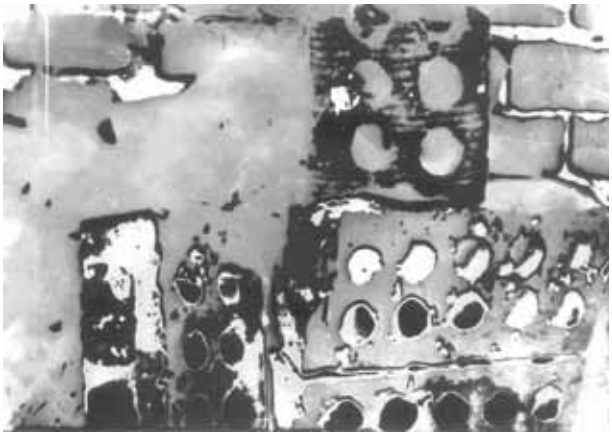

درجة الإضاءة المتوسطة مع نسخة التشمس الموجبة (من أعمالي)

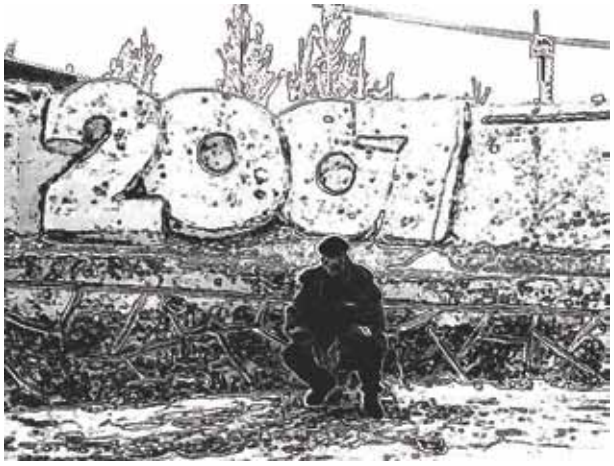

تحبير خارجي (فوتوشوب) (من أعمالي)

الطبع فإن الخبرة تلعب دورها في اختيار التقنية المناسبة لأن التنوع والتعدد التقني كما ذكرت سابقاً كثيراً في التصميم مثل الكولاج (القص واللصق) والحبر الصيني – الرذاذ اللوني (الرش) وقلم الرصاص – الفحم – الألوان المائية – الظلال بأنواعها وتقنية تنفيذها – تقنية برامج الجرافيك المتنوعة باستخدام الحاسوب – استخدام الماسك (القناع) سواءً أكان ذلك بطريقة التنفيذ اليدوي أم بالحاسوب – الإيحاء بالتجسيم أي الأبعاد الثلاثة وبمعنى آخر الإيحاء بالعمق – الطباعة بأنواعها المتعددة مثل الطباعة بالشاشة النافذة وطباعة الليثوجراف والمونوتايب والطباعة الحرارية ، والطباعة البارزة والغائرة بأنواعها، والحفر وتقنيات الحفر وتقنية استخدام مواده وخاماته كما هو الحال في خامات التصميم جميعاً حيث يجب ألا يغيب عن ذهن المصمم أهمية الخامة التي يتم تنفيذ العمل التصميمي عليها ... وكثيرة هي التقنيات التصميمية ومتنوعة وكثيرة هي خيارات المصمم وكل ذلك يرتبط به وبقابليته وحسن اختياره وجودة تنفيذه ومتانة فكرته وعلاقات أشكاله والعلاقات اللونية التي يستخدمها كالتلاشي والتدرج والانسجام والتباين ومقدار الكثافة اللونية والتشبع والنصوع. فضلاً عن العلاقات الفضائية التي يؤسسها في مساحته التصميمية بين أشكاله من الداخل والمحيط. مع إمكانية وجود العلاقات الفضائية المتضمنة.

وبهذا الصدد لابد من الذكر بإمكانية الجمع بين تقنيات متعددة في آن واحد، وما يؤديه ذلك على المظهر النهائي للتصميم الجرافيكي وفعله في توطيد الرسالة التصميمية، فضلاً عن إمكانية استخدام الجمع أيضاً بين تقنية الرسم والتصميم اليدوي مع تقنية استخدام التصميم بالحاسوب في آن واحد مما يؤدي إلى زيادة الطاقة التعبيرية للتصميم وإثرائه .

إن المصمم الجرافيكي أو الفنان التشكيلي أثناء تنفيذ عمله الفني يبدأ باكتشاف ما لم يكن مفكراً فيه أو تظهر له حالات بمحض الصدفة يكتشفها ويعجب بها ويرى أنها مهمة جداً في عمله الذي يقوم به لذلك يصر على إجراء بعض المتغيرات فيما كان يفكر به قبل ذلك، وقد تكون تلك المتغيرات الجزئية إما على الفكرة التصميمية أو على التقنية التنفيذية لأنه رأى بذلك أهمية عالية للتعبير عما ينفذه .

هنا ومن خلال ما تم ذكره لابد من التأكيد على ضرورة عدم الزام الفنان وعدم ربطه بأوامر وتعليمات صارمة حتى يبقى له حريته ورأيه وخياراته ليبقى المجال مفتوحاً له أمام الإبداع والتميز والتفرد دون قيد أو شرط وليبقى له أبواباً للتجريب والحذف والإضافة والتنوع في الإداء والتقنية .

ي من الممكن إعطائه الخطوط العامة للتصميم المطلوب وترك حرية التعبير والتنفيذ لما يراه هو مناسباً ومعبراً عن المعنى والموضوع ليتمكن بذلك من الإضافة والإبداع بالفكر والتقنية والتنفيذ واختيار الخامة المناسبة. لأنه لو حرم من ذلك لأصبح مجرد منفذ يقوم بعمل ما يطلب منه فقط .

وبخصوص التنوع التقني الخاص ببرامج الكمبيوتر يجب التأكيد على تنوع هذه البرامج واختلاف وظائف كل منها كما يجب التأكيد على ضرورة أن يكون المصمم الجرافيكي ملماً بادواتها وطرق استخدامها وإمكانية كل برنامج منها بحيث يستطيع أن يختار تنفيذ عمله على البرنامج المناسب لذلك. مع إمكانية الجمع في بعض الأحيان بين أكثر من برنامج والتي منها ما هو معد لمعالجة الصور, ومنها للرسم والتصميم ومنها للرسوم المتحركة والبعض لتصميم المواقع الإلكترونية والآخر للتوليف (المونتاج) وهناك برامج خاصة لتصميم الكتب والصحف والمجلات .

حتى إنه عندما يتم الحديث عن طباعة الأعمال الفنية والتصاميم المعدة بالكمبيوتر فلا شك أن للمصمم رأيه في نوع الطباعة الذي يرى أنه أكثر ملائمةً للإخراج النهائي للتصميم ونوع الخامة ووزنها سواءً أكان ذلك ملصقاً أم إعلاناً .

من خلال ما سبق تظهر لنا سعة الإمكانيات والخيارات التي يمكن اللجوء إليها واستخدامها وكل ذلك يكون مرتبطاً أولاً وأخيراً مع مدى خبرة المصمم ومعرفته لاحتياجات سوق العمل ومهارته وتقنيته وسرعة بديهيته وأخلاقيات المهنة . فضلاً عن معرفته بحسابات التكاليف والممارسة التي تؤهله لتقدير تكاليف العمل الذي يؤديه بناءً على العدد والقياس واللون والخامة ووزنها ونوعها ونوع الطباعة..

وهكذا فإن أهمية التنوع التقني للتصميم الجرافيكي يكون عاملاً أساسياً في استكمال وتبلور الفكرة والدلالة والتعبير وكلما تمكن المصمم من حسن المعالجة والتشكيل والتنويع التقني كلما كانت الطاقة التعبيرية أكثر قوة وأكثر وصولاً إلى المتلقي .

صورة خطية بتقنية الغرفة المظلمة (من أعمالي)